(السنة الثالثة) (العدد السادس)

الأخاء

مجلة علمية تاريخية أدبية روايية مصورة

مصر سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٢٦ — ربيع الاول سنة ١٣٤٥

أديب بك اسحق

(ولد عام ١٨٥٦ وتوفى عام ١٨٨٥)

﴿ ترجمة حياته ﴾

تحيا الامم برجالها الافذاذ ، وتوابنها الأمجاد ، الذين يكرّسون حياتهم لخدمة

البلاد ، ونفع العباد ، ويجاهدون في مضمار الحياة الشاق ، ويضحون بأنفسهم في سبيل النفع العام ، ومنهم من يخترع الاختراعات ، ويكتشف الاكتشافات ، التي تعود على الناس بفوائد ملموسة وعوائد محسوسة ، ثم يدفنون بالرمس ، ويصبحون كأنهم ، ولم يطلع عليهم ضوء قمر أو نور شمس .

فهل يجوز لامة ما أن تتناسى من خدمها أو من جاد بحياته في سبيل نفعها . اللهم لا يفعل ذلك الا الأمم ذات الشعور الخشن والاحساس الميت والعواطف الخامدة

ان امم الغرب قد قطعت في هذا المضمار شوطاً واسعاً فهي تمجد رجالها وتخلد ذكرى نوابغها ومهما مرّت السنون وتعاقبت الايام فانها لا تنسيهم ذكراهم ولا تنسج عليها نسيج الاهمال . طالعوا الصحف الغربية تجدوا فيها أنباء تلك الاحتفالات التي يقيمونها رفعاً لشأن رجالهم . حيث يتلون قصائد التمجيد والتقريظ ولا يدعون لفظة من ألفاظ المدح والثناء الا كالوها لهم . وبذلك يبثون روح التنافس بالمناقب في البلاد فيتسابق أهلها في احراز المجد والفخار .

وقد تنبه الشرق في العهد الاخير فأخذ أهله ينسجون على منوال الغربيين باقامة الحفلات الشائقة لتمجيد ابنائه من رجال الفضل والوطنية الصادقة . وجرياً على هذه السنة الشريفة ولاجابة لاقتراح فريق من قرائنا نشرع من هذا العدد ومايليه بالكتابة عن « نوابغ الشرق » وقد بدأنا بأديب بك اسحق فنقول :

***

ولد رحمه الله في دمشق الشام عام ١٨٥٦ وقد بدت عليه مخايل النجابة والذكاء منذ نعومة اظفاره . فلما درج وترعرع أدخله والده مدرسة الآباء المازريين حيث تلقى مبادىء اللغتين العربية والفرنسية . وكان استاذه في العربية يقول لابيه « ان ابنك سيكون قوالاً » أي شاعراً لان اكثر حديثه كان مسجعاً . ولما بلغ العاشرة شرع يقرض الشعر شغفاً به . وفي الحادية عشرة دخل في خدمة الجمرك براتب يسير جداً واخذ يعول عائلته التي أصابها في ذلك العهد سوء حال وعطلة أعمال . وفي الثانية عشرة من عمره نظم عدة قصائد وموشحات قوبلت بالاستحسان والاندهاش . وفي

الخامسة عشرة التحق بمصلحة البريد العثماني في بيروت وفي السابعة عشرة اشتغل في جرك بيروت . وفي هذه المدينة تعرف ببعض ادبائها كصباح رمضان والشيخ فضل القصار وبواص زين والشيخ اسكندر العازار وجرجس نحاس وسليم الشلفون وغيرهم وجرت بينه وبينهم مراسلات ومناقشات شعرية.

غير ان نفسه الطامحة لمجد حملته على ترك خدمة الحكومة فتفرغ الى التحرير والتصنيف وتولى أولا تحرير جريدة (ثمرات الفنون) ثم جريدة (التقدم) . وكان في أوقات الفراغ ينظم القصائد الشائقة فطبع كتاباً سماه « نزهة الاحداق في مصارع العشاق » ومن هذا العهد أخذت شهرته الادبية تنمو تدريجياً . ومالبث ان انضم الى « جمعية زهرة الآداب » التي كان يرأسها الاستاذ الكبير المرحوم سليمان البستاني فكان فيها عضواً نافعاً وأخذ يلقي فيها الخطب والقصائد الرنانة . واشترك في تحرير كتاب « آثار الادهار » وبعد ذلك نزح الى الاسكندرية باشارة المرحوم سليم نقاش حيث ساعده في تمثيل الروايات العربية على عهد الخديوي اسماعيل الذي مدها بالمال . وكان قد سبق له ان عرب في بيروت عن « راسين » الشاعر الفرنسي الكبير رواية « اندروماك » الشهيرة وهو في الثامنة عشرة من عمره ومثلت هناك وكان الاقبال عليها عظيما جداً . فلما حضر للقطر المصري أصلحها ونظم فيها ابياتاً جديدة ومثلها وقد نالت رضى الجمهور واستحسانه .

ثم قصد القاهرة عاصمة البلاد المصرية ولازم العلامة الكبير جمال الدين الافغاني فقرأ عليه شيئاً من الفلسفة الادبية والفلسفة العقلية والمنطق . وحصل بعد هذا على امتياز جريدة « مصر » عام ١٨٧٧ ولم يكن في جيبه اذ ذاك سوى عشرين فرنكا وقد لقي تعضيداً وتشجيعاً من الجميع . فنقل ادارتها الى الاسكندرية وشاركه في تحريرها المرحوم سليم نقاش فكان الفوز والتوفيق حليفهما وأنشآ معاً جريدة « التجارة » وأصدراها يومية وتركا جريدة « مصر » أسبوعية فصادفا نجاحاً باهراً ولكن ماكادت الجريدتان تتزعزعان حتى صدرت الاوامر بالغائهما . واضطر اديب بك الى مغادرة القطر المصري فرحل الى باريس حيث أصدر جريدة « مصر القاهرة » وكتب فيها فصولا ممتعة ومقالات قيمة . غير ان بعضهم عاب عليه حدته المتناهية في بعض

المقالات التي كان يسطرها باحرف من نار ويقذف منها القنابل والديناميت على معارضيه .

وتعرف في باريس بطائفة من كبار رجال الحكومة الفرنسية وحضر عدة جلسات في مجلس النواب فاستفاد كثيراً من خطب نوابه . وكان يتردد هناك على « المكتبة الاهلية » يطالع فيها المخطوطات العربية القديمة وينسخ منها قطعاً كثيرة . وألف كتاباً أسماه « تراجم مصر في هذا العصر » فقد مع مافقد من آثاره القلمية .

وكانت صحته في الاسكندرية قد بدأت بالانحراف فلما ذهب الى باريس أثر فيه بردها الشديد فأصيب بعلة الصدر وتألم منها في فصل الشتاء . فعاد على عجل الى بيروت مصدوراً بعد أن قضى في فرنسا تسعة أشهر . فعهد اليه صاحب « التقدم » تحرير جريدته وأقام مدة سنة يحررها . وبعد سقوط الوزارة المصرية عام ١٨٨١ عاد الى مصر مدعواً اليها فودعه اصحابه في بيروت وداعاً مؤثراً وقد أنشده وجيه البيروتي وأديبها حسن بك يبهم بقوله :

إنّا نودع روحنا وفؤادنا ومع « الأديب » نودّع الآدابا

فأجابه بقوله « ليس يبقاك وداع للآداب » ولما بلغ القاهرة عيّن ناظراً لقلم الانشاء والترجمة بديوان المعارف وصرحت له الحكومة باستئناف نشر جريدة « مصر » فأصدرها وأحرز في خلال ذلك الرتبة الثالثة وعيّن كاتباً ثانياً لمجلس النواب . وفي تلك الأثناء شبت الثورة العرابية فقفل راجعاً الى بيروت مع من هاجر من القطر المصري وجعل ينشر المقالات في جريدة « المصباح » وبعد ان احتلّ الانكليز الاسكندرية بادر اليها على أمل أن يعود الى وظيفته السابقة وشأنه الاول . فلم يفز بطائل . وأبعد قسراً الى بيروت بعد أن زُجّ السجن بضع ساعات

ثم تولى في بيروت تحرير جريدة « التقدم » للمرة الثالثة الى ان اشتدت عليه وطأة المرض فنصح له الأطباء بالسفر الى مصر لموافقة هوائها لصحته . فالتمس تصريحاً بالعودة اليها ووسط في ذلك المرحوم سلطان باشا . فأجابت الحكومة الخديوية التماسه كرماً ومنة . فأتاها ساعياً الى العفو . وأقام في القاهرة أياماً ثم غادرها الى الاسكندرية حيث صرف أياماً برملها التماساً للعافية . ولكنه لم يفده هواء ولا دواء . فأشار اليه الاطباء بالعودة الى اهله في بيروت فقام اليها على جناح السرعة . ولكن لم تمض

على عودته ثلاثون يوماً حتى وافته المنية في ١٢ يونيو (حزيران) عام١٨٨٥ في بلدة الحدث بضواحي بيروت . فاحتفل أصدقاؤه بدفنه وابنه منهم خليل باشا خياط والاستاذ ابراهيم الحوراني والشيخ اسكندر العازار وسامي افندي قصيري والدكتور بشارة زلزل .

وقد جمعت آثاره المطبوعة والمخطوطة مع ترجمته ومراثي الشعراء وأقوال الجرائد في كتاب خاص اسمه « الدرر » في ٦١٦ صفحة .

٥٥٥

ومن أبياته التي جرت على الألسنة مجرى المثل قوله وقد أجاد :

قتلُ امرئٍ في غابة جريمةٌ لا تُغتفرْ
وقتلُ شعب آمنٍ مسألةٌ فيها نظرْ
والحق للقوة لا يُعطاه الا مَن ظفر
ذي حالة الدنيا فكن من شرها على حذر

وله رحمه الله في رواية « الباربية الحسناء » التي عربها عن الفرنسية هذه الابيات النفيسة : ـ

حسبَ المرأةَ قومٌ آفةً من يدانيها من الناس هلك
ورآها غيرهم أمنيةً ملك النعمة فيها مَن ملك
فتنى معشر لو ثُبذت وظلام الليل مشتدّ الحلك
وتنى غيرهم لو جُعلت في جبين الليث أو قلب الفلك
وصواب القول لايجهله عاقل في مسلك الحق سلك
انما المرأة مرآةٌ بها كلّ ماتنظره منك ولك
فهي شيطان اذا أفسدتها واذا أصلحتها فهي ملك

٥٥٥

ولا يمنافي الختام أن نغفل الاشارة الى ان الكثيرين من الكتاب قد انتقدوا سيرة وحياة صاحب هذه الترجمة فقالوا انه أطلق العنان لنفسه الامارة بالسوء وذهب

في الشهوات كل مذهب فلم يمتن بكبح جماحها ثم انصرف في أوقات الفراغ الى تعاطي بنت الحان وما تجره وراءها من طرق الغواية لان الخمرة كما وصفها بعضهم « ام الكبائر والصغائر » وذلك جميعه مما أدى الى قصف غصن حياته الرطيب في ريعان الشباب ! فقد توفي في التاسعة والعشرين من عمره . ولو سار سير التعقل والاعتدال لعاش طويلا واستطاع خدمة وطنه وأهله ولم يدفن تلك المواهب في الرمس . ولعلّ في ذلك عظة وعبرة للشبان الذين يطوّحون بأنفسهم في مرابض الحانات التي تقودهم الى ارتكاب الموبقات . وفوق كل ذي علم عليم

---

١٥٠ عاما لاستقلال الولايات المتحدة

في أميركا الشمالية

(من سنة ١٧٧٦ لسنة ١٩٢٦)

لم تزل على قيد الحياة الى اليوم في فرنسا امرأة شمطاء تدعى « مدام هايار » وقد حضرت بنفسها الاحتفال الفخم الذي أقامه الفرنسيون للجنرال « لافايت » الفرنسي لدى رجوعه من الولايات المتحدة الى فرنسا مكللا بتاج النصر والفخار بعد نهاية تلك الحرب التي بذل فيها الاميركيون ضد انكلترا كل مرتخص وغال لديهم في سبيل حريتهم واستقلالهم . ومما لا يحتاج الى ايضاح ان هذه العجوز بلغت من العمر عتياً أو ماتت

جورج واشنطون